النجاة من الفتن
(كيف تنجو من الفتن؟)

تأليف
إسلام محمود درباله
مدير مركز أبحاث المستقبل للإسلام
www.future-i.org

الطبعة الأولى
1427هـ - 2006م

الناشر
دار الآفاق
للنشر والتوزيع

WWW.AFAAK.NET

INFO@AFAAK.NET

هاتف:002-0101323575

رقم الإيداع
11375/2006
الترقيم الدولي
573-6155-977

مقدمة

في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الفتن وعظمت فيه الخطوب، فهذا تكتنفه فتنة المال، وآخر شُغل بفتنة النساء، وثالثٌ قد نشبت في دياره فتنة القتال فالناس أمسوا يتقلبون بين فتن الأهواء والشبهات أو الشهوات والرغبات.

وسبيل النجاة، قل من هو على بصيرةٍ به، وقل من يثبت عليه إن هو عرفه، وتبينت له معالمه.

فالدنيا هي دار الابتلاء والامتحان والاختبار قال عز وجل: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائفَ الأَرْض وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ] [الأنعام:165]

قال ابن القيم: «فالعبد في هذه الدار مفتونٌ بشهواته، ونفسه الأمارة، وشيطانه المغري المزين، وقرنائه، وما يراه وما يشاهده مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب، ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلفٌ بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة، لغيبٍ طلب منه الإيمان به».

ووصف الله عز وجل الأموال والأولاد، بأنهم فتنة، فقال عز وجل: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] [الأنفال:28]

قال ابن كثير: «أي: اختبارُ وامتحان منه لكم إذ أعطا كموها ليعلم أتشكرونه عليها وتعطيونه فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه».

وأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالإستجابة لله ورسوله وحذر رب العالمين عباده من أن تصيبهم الفتن، وحث على توقيها والبعد عنها فقال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا

لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ] [الأنفال:24-25]

قال السعدي: «يأمر تَعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه.

وقوله: [إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ] [الأنفال:24] وصفٌ ملازم لكل مادعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: [وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ] [الأنفال:24] فإياكم أن تردوا أمر الله أول مايأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أني شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك.

[وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً] [الأنفال:25] بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فان عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتوقي هذه الفتنة يكون بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر، والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن. اهـ

وقد حذر النبي من الفتن في غير موضعٍ ومن ذلك قوله لأصحابه: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» رواه مسلم

وبوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب من الدين الفرار من الفتن»

وبوب الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: «باب التعوذ من شر الفتن».

فمع تزايد الفتن وتتابعها وشدة خطرها، رأيتُ أن أجمع ما بين يديك في هذا الكتاب، ما يذكرني وإخواني بخطورة الفتن

ووجوب تجنبها والبعد عنها، والعمل على النجاة منها عسى أن يجعلنا الله وإياكم من الناجين في الدنيا والآخرة.

وكتبه
إسلام محمود درباله
مدير مركز أبحاث المستقبل للإسلام
islamderbalah@hotmail.com

الفصل الأول
تعريف الفتن

- الفتنة في اللغة.
- الفتنة في الاصطلاح.
- الفتن في القرآن.

تعريف الفتن

الفتنة في اللغة:

قال الجوهري: » الفتنة الامتحان والاختبار تقول فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته» [1]

ونقل ابن منظور عن الأزهري وغيره :

«جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذٌ من قولك:

فتنت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار لتميز: الردئ من الجيد

وقال ابن الأعرابي: الفتنة الاختبار ، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، ولافتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار» [2]

الفتنة في الاصطلاح الشرعي:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من ردائته ، ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحان» [3]

وقال الراغب الأصفهاني : «والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضدد ذلك.

ولهذا يَذُم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان نحو قوله : [وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ] [البقرة: 191] ، [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ] [البروج: 10] ، [مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ] [الصافات: 162]، أي: بمضلين، وقوله: [بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ] [القلم:6] ، وقوله: [وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ] [المائدة: 49] »[4]

ووضح «الراغب» رحمه الله مشابهة الفتنة للبلاء من حيث الاستعمال، فقال :

«وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفَعُ إليه الإنسان من شدةٍ ورخاء وهما في شدةَ أظهر معنى، وأكثر

---

[1] الصحاح - للجوهري (6/2175).
[2] لسان العرب (13/317).
[3] فتح الباري (2/11).
[4] مفردات القرآن (372).

استعمالاً، وقد قال فيهما :

[وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ] [الأنبياء: 35]

وقال في الشدة : [إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ] [البقرة:102] و[وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ منَ القَتْلِ] [البقرة: 191] ، [وَقَاتِلُوَهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فتْنَةٌ] [البقرة:193]» [1]

والخلاصة:

«أن الفتنة هي: الابتلاء والاختبار والامتحان، والعذاب والشدة والحرق بالنار، وكل مكروه، كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة وغيرها من المكاره، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمره- سبحانه- فهي مذمومة.

والعلاقة بين المدلول اللغوي والشرعي للفتنة تكمن في كون الفتنة تُظهر المؤمن الصادق من الدعي ، وتُنبيء عن سوء طويَّةَ من لم يستقر الإيمان في قلبه وتُخرج الدَّغْل من قلوب المؤمنين، فيخرجوا بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة مؤمنة كما يحصل عند إدخال الذهب أو الفضة في النار، فيذهب الخّبّث، ويبقى الجيد»[2].

1 () مفردات القرآن (372).

2 () موقف المسلم من الفتن – حسين الحازمي.

الفتن في القرآن

المتأملُ لآيات الفتنة الواردة في القرآن يجد أنها ترد على وجوه كثيرة ومعان متعددة ومن ذلك :

1- الفتنة بمعنى الشرك:

ومنه قوله تعالي: [وَقَاتِلُوَهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] [الأنفال: 39].

وقوله تعالي: [وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ] [البقرة: 217].

2- بمعنى الكفر: ومنه قوله تعالى:

[فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ] [آل عمران: 7].

3- بمعنى الابتلاء والاختبار والمحنة :

ومنه قوله تعالي: [وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً] [طه: 40]. أي : بلوناك.

وقوله تعالي : [وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ من قَبْلهمْ] [العنكبوت: 3] أي: يبتلون.

وقوله تعالي : [أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ] [العنكبوت: 3] أي: امتحناهم.

وقوله تعالي: [وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ] [الدخان : 17]أي ابتليناهم.

4- وبمعنى العذاب: ومنه قوله تعالى:

[ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا] [النحل:110] أي: عذبوا.

وقوله تعالي: [ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] [الذاريات: 14]

ومنه قوله تعالي: [جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ] [العنكبوت: 10].

5- وبمعنى الإثم :

ومنه قوله تعالي:

[وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا] [التوبة: 49]

أي : في الإثم سقطوا، ومنه قوله تعالي:

[فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]

[النور: 63] أي: إثم.

6- بمعني التعذيب والإحراق بالنار: ومنه قوله تعالي: [ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ] [الذاريات: 14] أي حرقكم ، ومنه قوله تعالي: [إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] [البروج: 100] أي عذبوهم.

7- بمعنى القتل والهلاك: ومنه قوله تعالي: [إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] [النساء:101] أي يقتلهم

8- الصد عن الصراط المستقيم: ومنه قوله تعالي: [وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ] [الإسراء:73]، ومنه قوله تعالي: [وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ] [المائدة:49]

9- بمعنى الحيرة والضلالة: ومنه قوله تعالي: [وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ] [المائدة: 41]

10- وبمعنى العذر والعلة : ومنه قوله تعالي: [ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] [الأنعام: 23] أي : عذرهم.

11- وبمعنى الجنون والغفلة: ومنه قوله تعالي: [فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ] [القلم: 5-6] أي : الجنون[1].

12- الفتنة بمعني العبرة: ومنه قوله تعالي: [رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [يونس:85] وقوله تعالي: [رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا] [الممتحنة: 5]

13- بمعنى العقوبة: ومنه قوله تعالي: [فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ][النور: 63]

14- بمعنى المرض: ومنه قوله تعالي: [أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ] [التوبة:126].

15- بمعنى القضاء: ومنه قوله تعالي: [إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ] [الأعراف: 155] [2].

وهناك وجوه ومعان أخر تجدها متناثرة في كتب التفسير.

---

[1] هذه الوجوه المتقدمة ذكرها ابن الجوزي في كتابه: «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» (2/85، 86) والفيروزابادي في «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (4/167، 168) .

[2] انظر نزهة الأعين والنواظر- لابن الجوزي (2/86-87). .

الفصل الثاني
الناس والفتن

- استقبال الناس للفتنة.
- فتنة الناس بعضهم البعض.
- فتنة الإنسان نفسه.

الناس والفتن

استقبال الناس للفتنة:

إن بعض الناس يدعي الإيمان ويقول بلسانه آمنًا بيد أنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله.

«ولما ذكر تعالي: أنه لابد أن يمتحن من ادعي الإيمان ، ليظهر الصادق من الكاذب، بين تعالي أن من الناس فريقاً لا صبر لهم على المحن ، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل، فقال: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ] [العنكبوت: 10] بضرب ، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه وليراجع الباطل: [جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ] [العنكبوت:10] أي يجعلها صادّةً له عن الإيمان ، والثبات عليه »[1].

هذا حال بعض الناس- نسال الله السلامة والعافية- هذه صفات المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم فإذا جائتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالي بهم فارتدوا عن الإسلام، وحزعوا من ذلك كما يُجزع من عذاب الله، ولا يصبروا على الأذية في الله. فهذا الصنف من الناس هم الذين قال الله فيهم: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ] [الحج:11]

فتنة الناس بعضهم البعض:

إن من حكمة الله تعالي وسنته في خلقه أن يفتن الناس بعضهم ببعض، ويختبرهم ويبلوهم ليعلم من يطيع ممن يعصي فالمسلم مبتلى بالكافر، ومفتونٌ به. والكافر مفتونٌ بالمسلم ومبتلى به، ويمتحن الله الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، والضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء. وهكذا يمتحن الله عز

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (4/49-50) .

وجل عباده بعضهم ببعض قال ابن القيم رحمه الله عند ذكره قول الله تعالي: [وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ] [الفرقان:20] قال: «وهذا عامٌ في جميع الخلق امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحملت المشاق في تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل وهل يطيعونهم، وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاتلونهم وامتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم، ولوازه ذلك؟ وامتحن الجهال بالعلماء هل يطيعونهم ويهتدون بهم؟ وامتحن الملوك بالرعية والرعية بالملوك. وامتحن الأغنياء بالفقراء والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع والأتباع بالسادة، وامتحن المالك بمملوكه، ومملوكه به، وامتحن الرجل بامرأته، وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين، وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم، ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفائهم من أتباع الرسل، فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم، امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل، وقالوا: [لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ] [الأحقاف:11] هؤلاء، وقالوا لنوح : [أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ] [الشعراء:111]، [وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا] [الأنعام:53] فإذا رأى الشريف الرئيسُ المسكين الذليل قد سبقه إلى الإيمان ومتابعة الرسول حمى وأنف أن يسلم، فيكون مثله، وقال: أسلم فأكون أنا وهذا الوضيع على حد سواء»[1].

فتنة الإنسان نفسه :

إن من الناس من يفتن نفسه بنفسه، وذلك باتباعه واندراجه تحت أحضان شهواته فيكون رهينًا لها، وقد يُفتن بالغرور الذي يُزين له الكفر والريب فيطمئن لهن ويثق بوعده، ويصدق خبره وقد يفتن العبد نفسه بالشك في البعث بعد الموت، وقد تغره الأماني الباطلة، وطول الأمل، فيفتن نفسه بذلك غلى آخر ما يفيض به نهر الحياة من فتنة الإنسان نفسه.

---

1 () إغاثة اللهفان (2/160-161).

قال ابن القيم رحمه الله:

«فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغري المزين، وقرنائه وما يراه وما يشاهده مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العِوَضِ مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها ، وفيها نشأ، فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيبٍ طلب منه الإيمان به.

فوالله لو لا الله يُسعد عبده ... بتوفيقه ، والله بالعبد أرحم

لما ثبت الإيمان يومًا بقلبه ... على هذه العِلاتِ والأمرُ أعظمُ

ولا طاوعته النفس في ترك شهوة ... مخافةَ نارٍ، جمرها يَتَضَرَّم

ولا خاف يوماً من مقام إلهه ... عليه بحكم القسط إذ ليس يَظلِمُ»

الفصل الثالث
ظـهور الفتـن
وبيان بعض أنواعها

- ظهور الفتن
- شدة الفتن وعظمها

من أصناف الفتن:

- التفرق والاختلاف.
- فتنة النساء.
- فتنة المال.
- فتنة القتال
- فتنة اقتتال المسلمين مع الروم.

ظهور الفتن

أخبر عن ظهور الفتن وأن ظهورها يُعد من أشراط الساعة الصغرى، وأخبر بأنها فتنٌ عظيمة ، يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان ، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

ومما أخبر به النبي من ظهور الفتن ، وًأن ذلك من أشراط الساعة.

-ما رواه أبو هريرة قال: قال النبي : «يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلقى الشُحُ، ويكثر الهرج» قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل»[1].

ومن إخباره عن الفتن:

- ما رواه أسامة بن زيد قال : أشرف النبي على أطم[2]. من آطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى» قالوا: لا. قال: «فإني لأري الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»[3].

-وروي عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي قال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنةٌ فيرقِّق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه»[4].

---

[1] أخرجه البخاري (7061) كتاب الفتن باب ظهور الفتن ومسلم (157) كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه.

[2] الأُطم: بضم الهمزة والطاء- هو القصور والحصون التي تبنى بالحجارة وقيل: هو كل بيت مربع مسطح. انظر النهاية في غريب الحديث (1/54) ، وفتح الباري(4/113)..

[3] أخرجه البخارى (7060) كتاب الفتن – باب قول النبى «ويل للعرب...» ومسلم (2885) كتاب الفتن – باب نزول الفتن كمواقع القطر.

[4] أخرجه مسلم (1844) كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء. عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

شدة الفتن وعظم أمرها

حث النبي المؤمنين على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن العظام والمحن الجسام، وقد وصفها بأنها فتنٌ متراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

ومما ورد من الأحاديث في بيان شدة الفتن وعظمها:

-حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل».[1].

- وعن كُرْز الخزاعي قال قال رجلٌ يا رسول الله هل للإسلام من منتهي؛ قال: نعم: أيما أهل بيت، من العرب أو العجم، أراد الله بهم خيراً، أدخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه؟ قال: «ثم تقع الفتن كأنها الظلل»، قال: كلا، والله إن شاء الله، قال: بلي والذي نفسي بيده، ثم تعودون فيها أسَاود صُبا[2]. يضرب بعضكم رقاب بعض، فخير الناس يومئذ: مؤمن معتزل في شعب من الشعاب، يتقي الله، ويذر الناس من شره»[3].

-وروى حذيفة أن عمر بن الخطاب قال: أيكم يحفظ قول رسول الله في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال. قال: هات إنك لجريء. قال رسول الله : «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» قال: ليست هذه ، ولكن التي تموج كموج البحر، قال يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقًا. قال: يُفتح أو يكسر؟ قال: لا بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لايُغلق. قلنا علم البابَ؟ قال: نعم، كما أن دون غدٍ الليلة. إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقاً

---

[1] أخرجه مسلم (118) كتاب الإيمان - باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

[2] قال أبو الخطاب بن دحية : «الأساود نوعٌ من الحيات عظام فيها سوداء، وهو أخبثها، والصُّب منها التي تنهش ثم ترتفع ثم تنصب، شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذي بالصب من الحيات» التذكرة (2/204).

[3] أخرجه أحمد (3/477) وصححه ابن حبان والحاكم (4/455)، وقال الذهبي صحيح ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (51).

فسأله، فقال: من البابُ؟ قال: عمر»[1].

-وعن عوف بن مالك قال: أتيت النبي في غزوة تبوك ، وهو في قبةٍ من أدَم فقال: «أعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس ثم موتان[2]: يأخذ فيكم كقعاص الغَنم[3]. ثم استفاضة المال حَتى يُعطى الرَّجل مائَة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته، ثم هُدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر، فّيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية[4].، تحت كل غايةٍ اثنا عشر ألفا»[5].

-وعن حذيفة بن اليمان قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنةٌ فيما بيني وبين الساعة ومابي إلا أن يكون رسول الله أسرَّ إليَّ في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري ولكن رسول الله قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله وهو يعد الفتن: «منهن ثلاثٌ لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتنٌ كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار» قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري»[6].

---

1 () أخرجه البخاري(7096) في كتاب الفتن – باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ومسلم(144) كتاب الإيمان – باب ذكر الفتن التى تموج كموج البحر.

2 () المُوتْان: بضم الميم وسكون الواو- هو الموت وقيل: الموت الكثير الوقوع. غريب الحديث (3/262)، فتح البارى (6/320).

3 () القُعَاص الغنم: بضم القاف وتخفيف العين المهملة وآخر صاد مهملة- وهو : داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة . النهاية في غريب الحديث (4/88) ، الفتح(6/321).

4 () الغاية: بالغين المعجمة والياء آخر الحروف – هي الراية . فتح الباري (6/321).

5 () أخرجه البخاري (3176) كتاب الجزية- باب ما يحذر من الغَدر.

6 () أخرجه مسلم (2891) الفتن وأشراط الساعة.

من أصناف الفتن:

التفرق والاختلاف

-عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : « افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصاري على إحدى أواثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[1].

فتنة النساء

- عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي قال: «إن الدنيا حُلوةٌ خضرةٌ وإن الله مستَخْلِفُكُم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[2].

فتنة المال

قال تعالي: [إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] [التغابن:15].

-وقال رسول الله : «والله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[3].

وعن كعب بن عياض قال: سمعت النبي يقول: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتيِ المال»[4].

---

[1] () أخرجه ابوداود (4596) كتاب السنة – باب شرح (السنة) والترمذي (2640) كتاب الإيمان – باب افتراق هذه الأمة، وابن ماجه(3991) كتاب الفتن – باب افتراق الأمم . قال الترمذي: حديث حسن صحيح» وصححه الألباني في الصحيحة (203).

[2] () أخرجه مسلم (2742) كتاب الذكر – باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

[3] () أخرجه البخاري (3158) كتاب الجزية – باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والعرب.

[4] () أخرجه الترمذي(2336) كتاب الزهد باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال وصححه الترمذي، وأخرجه الحاكم (4/318) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «الصحيحة» (594) .

فتنة القتال

-عن أبي هريرة عن النبي قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة»[1].

فتنة اقتتال المسلمين مع الروم

- قال : « ستصالحون الروم صُلحًا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تلول[2]، فيرجع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب فيقول: «غلب الصليب، فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجتمع الملحمة»[3].

---

1 () أخرجه البخاري(7121) كتاب الفتن، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة.

2 () المرَج- بفتح الميم وسكون الراء المهملة: الارض الواسعة ذات نبات كثيرن تمرج وترعى الدواب فيه. النهاية في غريب الحديث (4/315).

والتلول – بضم التاء واللام – جمع تل، وهو كل ما اجتمع المرتفع (عون المعبود): (11/399).

3 () أخرجه أبوداود (4292) كتاب الملاحم باب ما يذكر الروم (4/481). وابن ماجه في الفتن (4089) كتاب الفتن . باب الملاحم. وحسن إسناده البوصيري في الزوائد.

الفصل الرابع
واجب المسلم عند الفتن
(طريق النجاة)

- الاعتصام بالكتاب والسنة.
- التمسك بالتوحيد والعقيدة الصحيحة
- التقوى وملازمة العبادة.
- الدعاء.
- التوبة والاستغفار.
- ذكر الله كثيراً.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التعوذ بالله مما ظهر منها وما بطن.
- التوكل على الله.
- الاستعانة بالصبر والصلاة.
- الصبر على الفتن.
- حفظ اللسان.
- التثبت في نقل الأخبار.
- لزوم جماعة المسلمين.
- العزلة وترك القتال في الفتنة.
- توضيح الدين.
- اللجوء إلى الله.
- الحرص على زيادة الإيمان.

واجب المسلم عند الفتن
(طريق النجاة)

الاعتصام بالكتاب والسنة

أمر سبحانه وتعالي عباده المؤمنين، بالاعتصام والتمسك بحبله المتين، بكتابه وسنة سيد المرسلين، عقيدة وشريعة، ونهاهم عن التفرق والاختلاف وأرشدهم إلى ذكر نعمته تعالي عليهم بالألفة والمحبة التي كانت ثمرة هدايتهم للإيمان والإسلام، بعد أن كانوا أعداء متناحرين مختلفين، فألف بين قلوبهم فأصبحوا بها إخوانًا متحابين متعاونين ، كما كانوا من قبل نعمة الهداية إلى الإيمان على شفا جهنم لو مات أحدهم يومئذ فيها خالدًا أبدًا، وكما أنعم عليهم وأنقذهم من النار ما زال يبين لهم الآيات الدالة على طريق الهداية الداعية إليه ليثبتهم

على الهداية ويكملهم فيها [1].

فالرجوع إلى الكتاب والسنة، والاعتصام بهما، في كل الأمور هو طريق الفوز والفلاح، ومسلك الهدى والنجاح، لاسيما زمن الفتن والكفاح.

إنه الاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم المبين إنه طريق العصمة من التفرق والاختلاف قال تعالى: [وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] [آل عمران:103] .

قال ابن كثير «رحمه الله» : «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف [2].

التمسك بالتوحيد والعقيدة الصحيحة

ومما ينجي من الفتن التمسك بالتوحيد، والحرص على تصحيح الاعتقاد، وتطهير القلب، مما قد يخدش في التوحيد أو يقدح في صحته.

قال عزوجل: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ] [الأنعام:82].

قال السعدي: «[الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا] أي يخلطوا [إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ] الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ مطلقاً، لا بشرك ولا بمعاصى، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعلمون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن بل حظهم الضلال والشقاء»[3].

---

1 () أيسر التفاسير (1/295-296).
2 () تفسير القرآن العظيم (1/389).
3 (1) تيسر الكريم الرحمن (2/226).

وقال الشوكاني رحمه الله عند تفسير هذه الآية، أنه سبحانه: «أمرهم بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن، ونهاهم عن التفرق الناشيء عن الاختلاف في الدين»[4].

[4] فتح القدير (1/367).

التقوي وملازمة العبادة

من المعلوم ما للتقوى من أهمية باللغة في حياة الإنسان ، كيف لا وهي وصية الله لجميع خلقه الأولين والآخرين كما قال تعالي: [وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ] [النساء:131] كيف لا؟ وهي وصية رسول الله لأمته «وأصل التقوي أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوي العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه ، وقايةً تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه»[1].

قال ابن مسعود في قوله تعالي: [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته] [آل عمران:102] قال: (أن يُطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يُكفر) [2].

وعن معقل بن يسار عن النبي قال: العبادة في الهرج كهجرة إلى »[3].

قال النووي رحمه الله: «المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس ، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا الأفراد»[4]. وقد ذكر المنذري رحمه الله أن الهرج: هو الاختلاف والفتن، وقد فُسِّرَ في بعض الأحاديث بالقتل، لأن الفتن والاختلاف من أسبابه، فأقيم المسبب مقام السبب»[5].

ووجه تمثيله بالهجرة أن الزمان الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله، إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن تعين على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة، وهو أحد أقسام الهجرة»[6].

«فالنجاة من الفتن والعصمة منها تكون بالإقبال على عبادة

---

1 () جامع العلوم والحكم (1/398).

2 () جامع العلوم والحكم (1/401).

3 () أخرجه مسلم (2948) كتاب الفتن -باب فضل العبادة في الهرج.

4 () شرح النووي على مسلم (18/88).

5 () الترغيب والترهيب (4/127).

6 () عارضة الأحوذي (9/53).

الله والاعتزال عن المخالفين من خلق الله كما دل عليه الحديث السابق»[1].

قال الأُبِّي: «الهرج: الفتنة والاختلاط، ووجه التشبيه: أن المهاجر فرَّ بدينه ممن يصده عنه إلى الاعتصام بعبادة ربه عز وجل، فهو مهاجر إلى الله سبحانه وتعالى»[2].

الـدعــاء

ومما ينجي من الفتن: الدعاء؛ وكيف لا ينجي من الفتن؟ وقد أمر الله تعالي به وتكفل بالإجابة، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، قال تعالي: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ] [غافر: 60]

وقال سبحانه : [أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ] [النمل:62]

من الدعاء المأثور دعاء يونس وهو في بطن الحوت: [لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ] [الأنبياء:87]

وقد أخبر النبي عنها بقوله: « إنه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيء قط إلا استجاب الله له»[3].والدعاء من العبادة بل هو العبادة كما قال : «الدعاء هو العبادة»[4].

التوبة والاستغفار

قال عز وجل: [وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [النور:31]

والفلاح كلمة جامعة للفوز بكل ما هو مطلوب والبعد عن كل مرهوب.

والتوبة والاستغفار من السعادة والمتاع الحسن والنجاة من

---

1 () المصدر السابق، بتصرف.

2 () إكمال المعلم (7/283).

3 () أخرجه الترمذي (3505) في الدعوات ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

4 () أخرجه الترمذي (2969) كتاب تفسير القرآن – من سورة البقرة، وابن ماجه (3828) كتاب الدعاء – باب فضل الدعاء. من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي.

عذاب الله.

قال تعالي: [وأنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ] [هود: 3] وأخبر سبحانه أن الاستغفار يمنع العذاب فهو بالتالي يمنع وينجي من الفتن لأنها من أنواع العذاب قال تعالي: [وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] [الأنفال:33] وقد أوصي النبي أمته بالتوبة والاستغفار بقوله : «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»، وفي رواية: «وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »[1].

ذكر الله كثيراً

قال تعالي: [وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] [الأحزاب:35].

وقال تعالي: [فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ] [البقرة:152] قال سعيد بن جبير: أذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وفي رواية برحمتي وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء[2].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أخبر سبحانه أنهما ينجيان من السوء فقال عز وجل: [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ] [الأعراف:165]

قال ابن كثير رحمه الله عن هذه الآية: «فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين» فيفهم من هذا أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ينجيهم الله من الفتن والمزالق ويعصمهم من السوء والمضائق. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة النجاة من ركبها نجا وسلم ، ومن تخلف عنها هلك وقد ضرب الرسول مثلاً لذلك فقال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم

---

[1] أخرجه مسلم باللفظين (2076، 2702) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

[2] تفسير القرآن العظيم (1/196) لابن كثير، معالم التنزيل - للبغوي (1/128).

أعلاهما وبعضهم أسفلهاـ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونَجَوا جميعاً »[1].

التعوذ بالله مما ظهر منها وما بطن

وقد أمر وأوصى بها نبينا حيث أوصى أصحابه فقال لهم: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن [2].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»[3].

وعن أبي هريرة ، عن النبي قال: « إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال»[4].

التوكل على الله

- التوكل على الله سبحانه والاعتماد عليه واللجوء إليه في كل الأمور، لاسيما إبان الفتن العاصفة.

قال تعالي: [وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] [الطلاق:3]

وقال عز وجل: [الَّذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا

---

1 () أخرجه البخاري (2493) كتاب الشركة - باب هل يُقترع في القسمة.

2 () أخرجه مسلم (2867) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

3 () أخرجه البخاري (6368) كتاب الدعوات - باب التعوذ من المأثم والمغرم.

4 () أخرجه مسلم (588) كتاب المساجد – باب ما يستفاد منه في الصلاة.

لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ] [آل عمران:173-174]

عن ابن عباس : [حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ] قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمدُ حين قالوا: [إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ] [آل عمران: 173] [1].

* * *

الاستعانة بالصبر والصلاة

كان النبي يحث أهل بيته على الصلاة تحسبًا للفتن، فقد أمر أهله بها لمدافعة الفتن.

فعن أم سلمة زوج النبي قالت : استيقظ رسول الله ليلةً فزعاً يقول: «سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات- يريد أزواجه لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا عاريةٌ في الآخرة»[2].

فالحديث دليلٌ واضح على أن الصلاة مخرجٌ من الفتنة.

قال الحافظ ابن حجر: «فيه الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة، لا سيما في الليل لرجاء وقت الإجابة، لتكشف أو يسلم الداعي ومن دعا له »[3].

وصلاة الليل لها خصوصية زائدة، فهي تسهم في إشراقة الروح وقوتها، وتقوي المسلم على شيطانه ووساوس نفسه، وتقلل من سطوة الشيطان وصولته على المسلم، فيصبح المسلم المصلي بالليل نشطاً منشرحاً مستبشرًا قريبًا من الآخرة ، متجافيًا عن دار الغرور، كثير الاستبشار بموعود الله،

---

1 [3] أخرجه البخاري(4563) في التفسير – باب [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم].

2 () أخرجه البخاري(115) كتاب العلم – باب العلم والعظة في الليل، وفي كتاب الفتن (7069) باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرٌمنه.

3 () فتح الباري (13/26).

خطرات الخير عنده أكثر من خطرات الشر، وهذا من شأنه أن يجعل قدم المسلم راسخة في الحق فلا يموج حين الفتن كما يموج الناس، ولا ينزلق كما ينزلقون، ولا يضطرب كما يضطربون.

* * *

الصبر على الفتن

ومن الصفات والأخلاق التي تعين على الثبات في الفتن الصبر؛ جعل الله سبحانه وتعالي الصبر جوادًا لا يكبوا، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يُهدم ولا يُثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان ومن سنة الله سبحانه وتعالي في هذه الحياة أن جعلها دار ابتلاء وافتتان وامتحان لا تَثبت على حال، ولا يقرُّ لها قرار، فيوٌم لك ويومٌ عليك.

وإذا استحكمت الأزمات، وتوالت النكبات وكثرت العوائق، وترادفت الضوائق فإن الصبر وحده هو الذي يُشع للمسلم النور العاصم من الردى، ويدله على الهدى.

والصبر خلقٌ عظيم يحتاج إليه المسلم في أمور دينه ودنياه، يبني عليه الأعمال، ويعلق عليه الآمال، توطينًا للنفس على احتمال الشدائد دون ضجر، واستعذاب الفتن والمصائب دون خَور، ومواجهة المسئوليات والتحديات مهما ثقلت، وانتظار الثمار والنتائج مهما بعدت بقوة إيمان وثبات جنان، وصحة يقين.

ولقد أكد القرآن الكريم أن الابتلاء للناس لا محيص عنه، حتى يُعدوا عُدة الصبر لكل نازلة، ويكونوا على أهبة الاستعداد عند حُلول أي ضائقة: [وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] [البقرة: 155]

[وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ] [محمد :31]

يبتلى المسلم في دينه وماله وعِرضه، فلا ينبغي أن يستسلم لليأس، ولا أن يفقد نور الألم، لأن تلك سنةٌ ماضية: [أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ

مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ] [العنكبوت:2-3]

وجعل الله سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تعالي: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ] [السجدة: 24]

وأخبر سبحانه أن الصبر خيرٌ لأهله مؤكدًا باليمين فقال تعالي: [وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ] [النحل:126]، وأخبر أن مع الصبر والتقوي لا يضر كيد العدو [وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] [آل عمران: 120]

وأخبر سبحانه عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه أوصلاه إلى محل العز والتمكين فقال تعالي: [إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ] [يوسف:90]

وعلق عز وجل الفلاح بالصبر والتقوى، فعقل ذلك عنه المؤمنون، فقال تعالي : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [آل عمران:200]

وأخبر سبحانه عن محبته لأهل الصبر فقال تعالي: [وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ] [آل عمران: 146]

وأوصى الله عز وجل عباده بالاستعانة بالصبر الصلاة فقال تعالي: [وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ] [البقرة: 45]

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون قال عز وجل:

[إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ] [المؤمنون: 111].

وأخبر سبحانه خبراً مؤكدًا بالقسم:

[إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ] [العصر: 2-3]

والمؤمن سمته الصبر في الشدة والرخاء، في البأساء والضراء، فعن صهيب قال : قال رسول الله : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر،

فكان خيرًا له»[1].

وأخبر ﷺ أن «الصبر ضياء»[2]. وقال ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[3].

والسعيد من جُنب الفتن، وما أطيب من ابتلي فصبر على البلاء والمحن ، فليس لمن فتن بفتنة دواء مثل الصبر، فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له، ومخلصة من الذنوب والله عز وجل يجزي المؤمن على صبره كما قال تعالي: [إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِياًّ حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ] [المؤمنون: 109-111].

وقال عز وجل: [ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ] [النحل: 110]

حفظ اللسان في أوقات الفتن وغيرها

يجب على كل مكلف أن يكف لسانه ويحفظه عن كل باطل، وفي جميع الأوقات والأحوال، ويزيد ذلك الحفظ ويتأكد في أوقات الفتنة، وحلول المحنة، ففيها تكثر الأقاويل، وتزداد الإشاعات والمبالغات والأباطيل.

فلذا يجب على المسلمين أن يكفوا ألسنتهم عن كل كلمة تزيد عن الحقيقة وتزيد من وهج الفتنة ، وليُعلم أن اللسان من أخطر ما خلق الله في جسم الإنسان، لذا يقول تعالى منبهاً المؤمنين : [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُواًّ مُّبِيناً] [الإسراء: 53]

وقال تعالي: [مَا يَلْفظُ من قَوْل إلاَّ لَدَيْه رَقيبٌ عَتيدٌ] [ق:

---

[1] أخرجه مسلم (2999) كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير.

[2] أخرجه مسلم (223) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء.

[3] أخرجه البخاري(1469، 647) كتاب الزكاة- باب الاستعفاف عن المسألة.

قال الإمام النووي رحمه الله: «اعلم أنه ينبغي لكل مكلفٍ أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركُه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، بل هذا كثيرٌ أو غالبٌ في العادة والسلامة لا يعدلها شيء »[1].

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان | لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل | كانت تهابُ لقاءه الشجعان

وقال آخر:

يموت الفتى من عثرةٍ | وليس يموت المرء من
فعثرته بلسانه تُذهب رأسه | وعثرته برجله تبراء على

فمما ورد في التحذير من آفة اللسان عموماً :

- سئل النبي ﷺ معاذًا عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال النبي ﷺ: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «كف عليك هذا» فقال وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناس على وجوههم – أومناخيرهم- إلا حصائد ألسنتهم»[2].

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ: « وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في نار جهنم»[3].

وفي رواية: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي

---

1 () الأذكار ص (516).

2 () أخرجه الترمذي (2616) كتاب الإيمان – باب ما جاء في حركة الصلاة، وابن ماجه (7973) كتاب الفتن- باب كف اللسان في الفتنة. قال الترمذي. حسن صحيح، وصححه الالباني في صحيح الترمذي(2110).

3 () أخرجه البخاري(6113) كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان.

بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[1].

وعن أبي هريرة عن النبي قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ... »[2].

قال النووي رحمه الله معلقًا على هذا الحديث:

«قلت: فهذا الحديث المتفق على صحته نصٌ صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت له مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم ، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر»[3].

وأما ما ورد من التحذير من آفات اللسان في أوقات الفتن فمن ذلك:

-عن عبدالله بن عمرو قال: بينما نحن حول رسول الله إذ ذكروا الفتنة، أو ذُكرت عنده قال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا» - وشبك بين أصابعه- قال: فقمتُ إليه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، وأملك عليك لسانك، وخُذ بما تعرف ودع ما تُنكر، وعليك بأمر خاصةِ نفسك، ودع عنك أمر العامة»[4].

التثبت في نقل الأخبار

ومما ينجي من الفتن: فقد أمرنا الله عز وجل بالتبين

---

1 () أخرجه مسلم (2988) كتاب الزهد والرقائق- باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

2 () أخرجه البخاري(6475) كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان، ومسلم (47) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير.

3 () الأذكار ص (517).

4 () أخرجه أبو داود (4343) كتاب الملاحم- باب الأمر والنهي وأحمد (2/212) والحاكم(4/525) وقال: صحيح الأسناد، ووفقه الذهبي وقال المنذري والعراقي سنده حسن وكذلك الألباني في الصحيحة (502).

والتثبت عند سماع أي خبر فقال تعالي: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ] [الحجرات:6]

فهذه الآية «قاعدةٌ أساسية هامة ، فعلى الفرد والجماعة والدولة أن يقبلوا من الأخبار التي تُنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين الصحيح، كراهية أن يصيبوا فردًا أو جماعة بسوء بدون موجب لذلك ولا مقتضٍ إلا قاله السوء، وفرية قد يريد بها صاحبها منفعة لنفسه بجلب مصلحة أو دفع مضرة عنه، فالأخذ بمبدأ التثبت والتبين عند سماع خبرٍ من شخص لم يُعرف بالتقوي والاستقامة الكاملة، والعدالة التامة ، واجبٌ صونًا لكرامة الأفراد وحمايةً لأرواحهم وأموالهم»[1].

هذا وليعلم أن التحري والتثبت من الأخبار والأنباء المتناقلة على الألسن إبان حلول الفتن ، ووقت الحروب والمعارك أشد وآكد في أي وقت آخر، فإن الإشاعات وقت الحروب والملاحم والفتن خطرها أعظم وضررها وفتكها أكبر.

ولا شك أن الإشاعة تُعد من أمضى الأسلحة التي يستعملها أعداء الأمة، لاختراق الصفوف والفتك بعضد الأمة، وتمزيق وحدتها، وإذا كان الأعداء في هذا العصر يعطون للإشاعة أهمية كبرى، وذلك من خلال ما ينفقون عليها من أموال طائلة، وبما يُجهزون لها من جيوش بشرية جرارة، تعمل على نشر الإشاعات والترويج لها والتزيين لها، وتقديمها للآخرين في قالب الخبر المجرد البريء.

لزوم جماعة المسلمين

والجماعة ليست بالكثرة، ولكن بلزوم الحق وقد وردت في القرآن آيات تأمر المؤمنين وتحثهم على لزوم الجماعة وترك التفرق والاختلاف، ومن ذلك:

قوله تعالي: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا] [آل عمران: 102-103]

قال ابن جرير: «يعني بذلك جل ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعًا يريد بذلك: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده

---

[1] أيسر التفاسير (4/290).

الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»[1].

وقال عز وجل: [إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] [الحجرات:10]، فهذه الآية دلت على أصل من أصول الإسلام وهي التآخي والتحابب في الله الذي ينتج عنه اجتماع المسلمين وائتلافهم ، وتقرر الأخوة الإسلامية»[2].

وقال عز وجل: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] [التوبة:71]

فهذه الآية تقرر مبدأ (الولاء) للمؤمنين والمؤمنات ، وما التآخي إلا جزء من الولاء ويتحقق التآخي والولاء باجتماع المسلمين وتآلفهم والتفافهم حول علمائهم.

وأما الأحاديث الدالة على وجوب لزوم الجماعة وبخاصة عند الفتن فكثيرة منها:

- عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله ! إنا كنا في جاهليةٍ وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دَخَنْ» قلت: وما دخنه؟ قال: «قومٌ يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يظهر لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[3].

العزلة وترك القتال في الفتنة

[1] جامع البيان(4/30).
[2] أيسر التفاسير(4/294-296).
[3] أخرجه البخاري (7084) كتاب الفتن- باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

إن العزلة في وقت الفتن لابد أن يكون لها ضوابط وقواعد، وهي أمرٌ له سلبياته وإيجابياته يقول الإمام الخطابي رحمه الله: «فإن الإغراق في كل شيء مذموم وخير الأمور أوسطها، والحسنة بين السيئتين، وقد عاب رسول الله الإغراق في عبادة الخالق عز وجل، والحمل على النفس منها ما يؤددها ويكلها، فما ظنك بما دونها من باب التخلق والتكلف»[1]. ثم لخص الخطابي رحمه الله الطريقة المثلي في الخلطة والعزلة فقال:

«والطريقة المثلى في هذا الباب ألا تمتنع من حق يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به وألا تنهمك لهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه، فإن من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه و من انحل في الباطل جمد عن الحق، فكن مع الناس في الخير، وكن بمعزلٍ عنهم في الشر، وتوخَّ أن تكون فيهم شاهدًا كغائب، وعالماً كجاهل»[2].

الثبات والتثبيت

ومما ينحي من الفتن: الثبات قال عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا] [الأنفال:45]

وقال عز وجل:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ] [آل عمران:200]

فمن وسائل الثبات:

1-الإقبال على القرآن: فالقرآن هو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به ثبته الله، ومن اتبعه أنجاه الله .

قال عز وجل: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً] [الفرقان:32-33]

---

[1] العزلة (236).
[2] العزلة-(237) الخطابي.

2-التزام شرع الله والمداومة على العمل الصالح: قال تعالي:[يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] [إبراهيم: 27]

قال قتادة: «أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وفي الآخرة في القبر» وكذا روي عن غير واحد من السلف »[1].

وقال سبحانه وتعالى:[وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً] [النساء: 66]

ولذلك كان النبي يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قلّ.

وكان أصحابه رضي الله عنهم إذا عملوا عملاً أثبتوه.
وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته.
وكان أصحاب النبي إذا عملوا عملاً أثبتوه.
وكان النبي يقول: «من ثابر على اثنتي عشرة ركعة وجبت له الجنة»[2].
وفي الحديث القدسي: « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[3].

3- تدبر قصص الأنبياء ودراستها للتأسي والعمل: قال عز وجل: [وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ] [هود:120]

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله إلا لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله وتثبيت أفئدة المؤمنين معه.

-فلو تأملت قول الله عز وجل: [قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا

---

1 () تفسير ابن كثير (4/421).
2 () أخرجه الترمذي (414) كتاب الصلاة – باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة من السنة ، والنسائي (1794) كتاب قيام الليل وتطوع النهار – باب ثواب من صلى في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة ، وابن ماجه (1140) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ما جاء في ثنتي عشرة ركعة، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6183). .
3 () أخرجه البخارى (6502) كتاب الرقاق – باب التواضع.

آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ] [الأنبياء:68-70]

قال ابن عباس: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار «حسبي الله ونعم الوكيل»[1].

- ولو تدبرت قول الله عز وجل في قصة موسى: [فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ] [الشعراء:61-62] .

- ولو استعرضت قصة سحرة فرعون وثباتهم أمام تهديداته وهو يقول: [قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى] [طه:71]

ثم قولهم في وجهه: [قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا] [طه:72]

فالمؤمن يستشعر معاني الثبات من مثل هذه القصة، وعند تلاوة هذه الآيات.

4- الدعاء: من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء بالثبات.

وكان رسول الله يُكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[2].

5- ذكر الله: هو من أعظم أسباب التثبيت: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً] [الأنفال:45].

6-التربية: فالتربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عاملٌ أساسي من عوامل الثبات.

فالتربية الناجحة المؤثرة هي:

---

[1] فتح الباري(8/229).

[2] أخرجه الترمذي (2140) كتاب القدر – باب ما جاء أن القلوب بين إصبعي الرحمن، وابن ماجه (3834) كتاب الدعاء باب دعاء الرسول.

- التربية الإيمانية التى تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة.

- التربية العلمية القائمة على الدليل الصحيح .

- التربية الواعية: التي تستبين سبيل المجرمين وتدرس خط أعداء الإسلام وترد عليها.

- التربية المتدرجة التي ترتقي بالمسلم في مدارج كماله بتخطيط موزون.

وانظر إلى أثر التربية في ثبات الصحابة رضي الله عنهم.

-فكيف ثبت بلال، وخباب ، مصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين.

-وكيف ثبت كبار الصحابة في حصار الشعب.

7-الثقة في طريق الحق: فلتستشعر أخي أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً بل هو طريق الأنبياء والصالحين من قبلنا.

فبذلك تزول غربتك وتتبدل وحشتك أنسًا وكآبتك فرحًا.

ولتستشعر معنى الاصطفاء قال عز وجل:

[الحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى] [النمل:59]

[ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا] [فاطر:32]

[وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ] [يوسف: 6]

وكما أن الله اصطفى الأنبياء ، فللصالحين نصيبٌ من ذلك الاصطفاء وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

8- ممارسة الدعوة إلى الله عز وجل، والتعلم والتعليم: النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن.

[قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] [يوسف:108]

وقال ابن مسعود: «اغد عالمًا أو متعلمًا و لا تكن الثالث»

9-الالتفاف حول العناصر المثبتة: البحث عن العلماء والصالحين والالتفاف حولهم معينٌ على التثبيت قال علي بن المديني:

(أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة)[1].

وتأمل كلام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: «كنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن تراه وتسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا. وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[2].

10- الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام: قال عز وجل: [وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ] [آل عمران : 146-148].

وقال مثبتًا أصحابه : «ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[3].

11- معرفة حقيقة الباطل وعدم الاعتزاز به: قال عز وجل: [لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ] [آل عمران :196] تسريةً عن المؤمنين وتثبيتًا لهم.

وقال عز وجل: [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً] [الرعد:17] ففي هذه الآية عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له.

وقال عز وجل: [وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ] [الأنعام:55]

12- استجماع الأخلاق المعينة على الثبات: وعلى رأسها الصبر،

---

[1] سير أعلام النبلاء (11/196).

[2] الوابل الصيب ص (97).

[3] أخرجه البخاري (3612) كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام.

ففي الصحيحين: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[1].

13- وصية الرجل الصالح: عندما يتعرض المسلم لفتنة ويبتليه ربه ليمحصه يكون من عوامل الثبات أن يقيض الله له رجلاً صالحًا يعظه ويثبته، فتكون كلمات ينفع الله بها، ويسدد الخطى.

فاحرص أخي الكريم على طلب الوصية من الصالحين : واعقلها إذا تُليت عليك .

- اطلبها قبل سفر إذا خشيت مما قد يقع فيه.

- اطلبها أثناء ابتلاء، أو قبل محنة متوقعة.

- اطلبها إذا عُينت في منصب أو ورثت مالاً وغنى ، وثبت نفسك ، وثبت غيرك والله ولي المؤمنين.

14- التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت: الجنة بلاد الأفراح ، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين، والنفس مفطورة على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابل يهون عليها الصعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجر تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت فستفوته جنةٌ عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس إنما تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويجذبها إلى العالم العلوي وكان النبي يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، ففي الحديث مر رسول الله بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالي فقال لهم: «صبرًا آل ياسر صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[2].

وكذلك كان يقول للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة

---

[1] أخرجه البخاري (1469) – كتاب الزكاة – باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم (1053) كتاب الزكاة – باب فضل التعفف والصبر.

[2] أخرجه الحاكم (3/383) وانظر فقه السيرة للألباني ص 103.

فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[1].

وكذا من تأمل حال الفريقين في القبر ، والحشر والحساب ، والميزان والصراط، وسائر منازل الآخرة كما أن تذكر الموت يحمي المسلم من التردي ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها ، لأنه إذا علم أن الموت أدني من شراك نعله ، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تسول له نفسه أن يزلّ، أو يتمادي في الانحراف، ولأجل هذا قال ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[2].

تثبيت العلماء

ومما ينجي من الفتن ، تثبيت العلماء: جاء في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله إمام أهل السنة الثابتة يوم المحنة: قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة، ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمَّال على رِسلك، ثم قال: يا هذا ، ما عليك أن تُقتل ها هنا وتدخل الجنة؟

ثم قال: أستودعك الله، ومضى، فسألتُ عنه فقيل لي: هذا رجلٌ من العرب من ربيعة يعمل الشَّعَر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، ويُذكر بخير...

قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق؛ قال: يا أحمد، إن يقتلك الحق مُتَّ شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، فقَّوى قلبي»[3].

---

[1] متفق عليه، أخرجه البخاري (3792) كتاب المناقب – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار، ومسلم (1845) كتاب الإمارة – باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم.

[2] أخرجه الترمذي (2307) كتاب الزهد - باب ما جاء في ذكر الموت، وأخرجه النسائي (1824) كتاب الجنائز – باب كثرة ذكر الموت ، وابن ماجه (4258) كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (1210).

[3] سير أعلام النبلاء (11/241).

فالعلماء بشر تعصف بهم الفتن كما تعصف بالناس، ويرتفع الإيمان وينخفض، وتشتد العزيمة وترتخي.

توضيح الدين ونشر العلم

في أوقات الفتن يكثر السؤال والقيل والقال، وتتلفت الأمة إلى العلماء، وحينئذ، فلابد من قيام للـه بتوضيح، خاصة إذا مُست الأمة في عقيدتها، وشوش التوحيد، وهُمشت الثوابت.

قال عز وجل:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِياًّ أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً] [النساء:135].

وفي الصحيحين من حديث عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، أن أبا هريرة قال: لما توفي رسول الله كان أبو بكر ، وكفر من كفر من العرب فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : «أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»؟ فقال له: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله! لومنعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها.

قال عمر فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنه الحق»[1].

اللجوء إلى الله تعالى

فالخير بيديه، والشكوي إليه ، والأمر منة وإليه.

الله عز وجل.. أمان الخائفين ، وأنس المستوحشين:

[فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ] [الذاريات: 50-51]

قال ابن القيم رحمه الله:

«وأقرب باب دخل منه العبد على الله – تعالي- هو

---

[1] أخرجه البخاري (1400) كتاب الزكاة – باب وجوب الزكاة، ومسلم (20) كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

الإفلاس ، فلا يرى لنفسه حالاً ومقامًا ولا سببًا يتعلق به، ولا وسيلة منه يمنُّ بها، بل يدخل على الله تعالى- من باب الافتقار الصف والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه، حتى وصلت تلك الكسرة سويدائه، فانصدع، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه وكمال فاقته وفقره إليه»[1].

قال ابن عباس: حدثني عمر بن الخطاب قال:

لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض »، فمازال يهتف بربه مادّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ] [الأنفال:9] فأمده الله بالملائكة»[2].

الحرص على زيادة الإيمان ومعالجة أسباب ضعفه

ومما ينجي من الفتن: تقوية الإيمان والحرص على زيادته، فإن ضعف الإيمان مما عم وانتشر في المسلمين ، وعدد من الناس يشتكي من قسوة قلبه وتترد عباراتهم : " أحس بقسوة في قلبي "، " لا أجد لذة للعبادات " "أشعر أن إيماني في الحضيض "، " لا أتأثر بقراءة القرآن "، " أقع في المعصية بسهولة "، وكثيرون آثار المرض عليهم بادية .

وموضوع القلوب موضوع حساس ومهم ، وقد سمي القلب قلباً لسرعة تقلبه قال عليه الصلاة والسلام: «إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة

1 () الوابل الصيب ص (8).

2 () أخرجه مسلم (3309) كتاب الجهاد – باب الإمداد بالملائكة في عزوة بدر .

يقلبها الريح ظهراً لبطن» [1]. وفي رواية «مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الريح ظهراً لبطن »[2].

وهو شديد التقلب كما وصفه النبي بقوله: «لقلب ابن آدم أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً» [3] وفي رواية « أشد انقلابًا من القدر إذا اجتمعت غلياناً » [4]. والله سبحانه وتعالى هو مقلب القلوب ومصرفها كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله يقول: « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » [5].

وحيث [أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ] [الأنفال:24] وأنه لن ينجو يوم القيامة [إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] [الشعراء: 89] وأن الويل « للقاسية قلوبهم من ذكر الله» وأن الوعد بالجنة لـ [مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ] [ق:33] كان لابد للمؤمن أن يتحسس قلبه ويعرف مكمن الداء وسبب المرض ويشرع في العلاج قبل أن يطغى عليه الران فيهلك والأمر عظيم والشأن خطير فإن الله قد حذرنا من القلب القاسي والمقفل والمريض والأعمى والأغلف والمنكوس والمطبوع المختوم عليه .

روى الحاكم في مستدركه والطبراني في معجمه عن النبي أنه قال: « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق

---

1 () أخرجه أحمد (27859) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (2365)

2 () أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم (227) وإسناده صححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (1/102) .

3 () أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة رقم (226) وإسناده صححه الألباني في ظلال الجنة (1/102) .

4 () أخرجه أحمد (23304) وهو صحيح أورده الألباني في صحيح الجامع رقم (5147)

5 () أخرجه مسلم رقم (2654) كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

الثوب فأسالوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم » [1].
وهذه بعض الأمور التي تعالج ضعف الإيمان وتزيد الإيمان في القلب وتقويه:
1- تدبر القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل تبياناً لكل شيء ونوراً يهدي به سبحانه من شاء من عباده ، ولا شك أن فيه علاجاً عظيماً ودواء فعالاً قال الله عز وجل : [وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ] [الإسراء 82] أما طريقة العلاج فهي التفكر والتدبر .
« وقد كان رسول الله ، يتدبر كتاب الله ويردده وهو قائمٌ بالليل ، حتى إنه في إحدى الليالي قام يردد آية واحدة من كتاب الله ، وهو يصلي لم يجاوزها حتى أصبح وهي قوله تعالى : [إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [المائدة : 118] [2] .
والقرآن فيه توحيد ووعد ووعيد وأحكام وأخبار وقصص وآداب وأخلاق وآثارها في النفس متنوعة وكذلك من السور ما يرهب النفس أكثر من سور أخرى، يدل على ذلك قوله :« شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » [3]. لقد شيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتوته من حقائق الإيمان والتكاليف العظيمة التي ملأت بثقلها قلب الرسول فظهرت آثارها على شعره وجسده ، [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] [هود: 112].

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك (1/4) وهو في السلسلة الصحيحة (1585) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/52) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

[2] أخرجه النسائي (1010) كتاب الافتتاح – باب ترديد الآية، وابن ماجه (1350) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل. والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه. .

[3] أخرجه الترمذي (3297) كتاب التفسير – باب ومن سورة الواقعة، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (955).

وقد كان صحابته يقرأون ويتدبرون ويتأثرون وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً أسيفاً رقيق القلب إذا صلّى بالناس وقرأ كلام الله لا يتمالك نفسه من البكاء ومرض عمر من أثر تلاوة قول الله تعالى : [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِن دَافِعٍ] [الطور:7] [1]. وسمع نشيجه من وراء الصفوف لما قرأ قول الله عن يعقوب عليه السلام [قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ][يوسف: 86] [2]. وقال عثمان : لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله، وأخبار الصحابة في هذا كثيرة ، وعن أيوب قال سمعت سعيداً - ابن جبير - يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة [وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ] [البقرة: 281] [3] . وهي آخر آية نزلت من القرآن وتمامها [ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ] [البقرة:281].
وقال إبراهيم بن بشار :الآية التي مات فيها علي بن الفضيل: [وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ] [الأنعام:27] في هذا الموضع مات وكنت فيمن صلّى عليه رحمه الله.[4]
وحتى عند سجدات التلاوة كانت لهم مواقف فمنها قصة ذلك الرجل رحمه الله الذي قرأ قول الله عز وجل: [وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً] [الإسراء:109] .فسجد سجدة التلاوة ثم قال معاتباً نفسه:هذا السجود فأين البكاء؟.
ومن أعظم التدبر تدبر أمثال القرآن لأن الله سبحانه وتعالى لما ضرب لنا الأمثال في القرآن ندبنا إلى التفكر والتذكر فقال : [وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ][إبراهيم:25] وقال : [وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] [الحشر:21].

---

1 () الأثر بأسانيده في تفسير ابن كثير (7/406).
2 () مناقب عمر لابن الجوزي (167) .
3 () سير أعلام النبلاء (4/324).
4 () سير أعلام النبلاء (4/446) .

تفكر أحد السلف مرةً في مثل من أمثال القرآن فلم يتبين له معناه فجعل يبكي ، فسئل ما يبكيك ؟ فقال : إن الله عز وجل يقول : [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ] [العنكبوت : 43] . وأنا لم أعقل المثل ، فلست بعالم ، فأبكي على ضياع العلم مني .

وقد ضرب الله لنا في القرآن أمثلة كثيرة منها: مثل الذي استوقد ناراً، ومثل الذي ينعق بما لا يسمع، ومثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل، ومثل الكلب الذي يلهث، والحمار يحمل أسفاراً، والذباب، والعنكبوت، ومثل الأعمى والأصم، والبصير والسميع، ومثل الرماد الذي اشتدت به الريح، والشجرة الطيبة، والشجرة الخبيثة ، والماء النازل من السماء ومثل المشكاة التي فيها مصباح، والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء والرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، وغيرها، والمقصود الرجوع إلى آيات الأمثال والاعتناء بها عناية خاصة .

ويلخص ابن القيم رحمه الله ما على المسلم أن يفعله لعلاج قسوة قلبه بالقرآن فيقول: " ملاك ذلك أمران : أحدهما : أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها ، وتدبر وفهم ما يراد منه ، وما نزل لأجله ، وأخذ نصيبك من كل آياته ، وتنزلها على داء قلبك ، فإذا نزلت هذه الآية على داء القلب برئ القلب بإذن الله " .

2- ومما يزيد في الإيمان؛ استشعار عظمة الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت .

والنصوص من الكتاب والسنة في عظمة الله كثيرة إذا تأملها المسلم ارتجف قلبه وتواضعت نفسه للعلي العظيم وخضعت أركانه للسميع العليم وازداد خشوعاً لرب الأولين والآخرين

3- ومما يساعد على زيادة الإيمان؛ طلب العلم الشرعي: وهو العلم الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله وزيادة

الإيمان به عز وجل كما قال الله تعالى: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ] [فاطر:28] فلا يستوي في الإيمان الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فكيف يستوي من يعلم تفاصيل الشريعة ومعنى الشهادتين ومقتضياتهما وما بعد الموت من فتنة القبر وأهوال المحشر ومواقف القيامة ونعيم الجنة وعذاب النار وحكمة الشريعة في أحكام الحلال والحرام وتفصيل سيرة النبي ﷺ، وغير ذلك من أنواع العلم كيف يستوي هذا في الإيمان ومن هو جاهل بالدين وأحكامه وما جاءت به الشريعة من أمور الغيب، حظه من الدين التقليد وبضاعته من العلم مزجاة، [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الألباب] [الزمر:9].

4- ومن الأمور المعينة على زيادة الإيمان: لزوم حلق الذكر وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب منها ما يحصل فيها من ذكر الله، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحف الملائكة للذاكرين، وذكر الله لهم في الملأ الأعلى، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها قوله ﷺ: « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » [1]. وعن سهل بن الحنظلية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفوراً لكم » [2]. قال ابن حجر رحمه الله: «ويطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم» [3].

5- ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها، وهذا من أعظم أسباب العلاج

---

1 [1] أخرجه مسلم (2700) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

2 [2] أخرجه أحمد (12045) والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (5507).

3 [3] فتح الباري (11/209) .

وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير، وقد ضرب الصديق في ذلك مثلاً عظيماً لما سأل الرسول ، أصحابه «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر أنا، قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا، قال، فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً، قال أبو بكر أنا، قال فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر أنا، فقال رسول الله ، ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» [1]

فهذه القصة، تدل على أن الصديق كان حريصاً على اغتنام الفرص، وتنويع العبادات ولما وقع السؤال من النبي مفاجئاً دل ذلك على أن أيام أبي بكر كانت حافلة بالطاعات.

6- ومما يساعد في معالجة ضعف الإيمان؛ تنويع العبادات: من رحمة الله وحكمته أن نوع علينا العبادات فمنها ما يكون بالبدن كالصلاة ومنها ما يكون بالمال كالزكاة ومنها ما يكون بهما معاً كالحج ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء وحتى النوع الواحد ينقسم إلى فرائض وسنن مستحبة والفرائض تتنوع وكذلك السنن مثل الصلاة فيها رواتب ثنتي عشرة ركعة في اليوم ومنها ما هو أقل منزلة كالأربع قبل العصر وصلاة الضحى ومنها ما هو أعلى كصلاة الليل وهو كيفيات متعددة منها مثنى مثنى أو أربع ثم أربع ثم يوتر ومنها خمس أو سبع أو تسع بتشهد واحد، وهكذا من يتتبع العبادات يجد تنويعاً عظيماً في الأعداد والأوقات والهيئات والصفات والأحكام ولعل من الحكمة في ذلك أن لا تمل النفس ويستمر التجدد، ثم إن النفس ليست متماثلة في انجذابها وإمكاناتها وقد تستلذ بعض النفوس بعبادات أكثر من غيرها ، وسبحان الذي جعل أبواب الجنة على أنواع العبادات كما جاء في حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل

---

[1] () أخرجه مسلم (1028) كتاب الزكاة – باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» [1]. والمقصود المكثرون من أصحاب النوافل في كل عبادة أما الفرائض فلا بد من تأديتها للجميع، وقال : «الوالد أوسط أبواب الجنة» [2]. أي بر الوالدين،يمكن الاستفادة من هذا التنوع في علاج ضعف الإيمان والاستكثار من العبادات التي تميل إليها النفس مع المحافظة على الفرائض والواجبات التي أمر الله بها،.

7- ومن علاجات ضعف الإيمان: الخوف من سوء الخاتمة،لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان في القلب.

8- الإكثار من ذكر الموت: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني الموت » [3]. وتذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي.

يا من يصيح إلى داعي الشقاء وقد	نادى به الناعيان الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرى ففيم ترى	في رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل	لم يهده الهاديان العين والأثر
لا الدهر يبقي ولا الدنيا ولا الفلك	الأعلى ولا النيران الشمس والقمر

---

1 ()أخرجه البخاري (1897) كتاب الصوم – باب الريان للصائمين، ومسلم (1027) كتاب الزكاة – باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

2 () أخرجه الترمذي (1900) كتاب البر والصلة – باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، وابن ماجه (3663) كتاب الأدب – باب والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (7145)

3 () أخرجه الترمذي(2307) كتاب الزهد - باب ما جاء في ذكر الموت، وأخرجه النسائي (1824) كتاب الجنائز – باب كثرة ذكر الموت ، وابن ماجه (4258) كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (1210).

ليرحلن عن الدنيا وإن كرها والحضر[1]

10- ومن الأمور التي تجدد الإيمان: التفاعل مع الآيات الكونية روى البخاري ومسلم وغيرهما: «أن رسول الله كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه» فقالت عائشة: يا رسول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، فقال: « يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: « هذا عارض ممطرنا » [2].

وكان يقوم فزعاً إذا رأى الكسوف كما جاء في صحيح البخاري عن أبي موسى قال: «خسفت الشمس فقام النبي فزعاً يخشى أن تكون الساعة» [3]. وأمرنا عليه الصلاة والسلام عند الكسوف والخسوف أن نفزع إلى الصلاة وأخبر أنهما من آيات الله التي يخوف بها عباده، ولا شك أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر والفزع منها يجدد الإيمان في القلب، ويذكر بعذاب الله، وبطشه، وعظمته، وقوته، ونقمته.

11- ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان ذكر الله تعالى وهو جلاء القلوب وشفاؤها ، ودواؤها عند اعتلالها ، وهو روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله به فقال : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً] [الأحزاب:41]ووعد بالفلاح من أكثر منه فقال: [وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ] [الأنفال:45] وذكر الله أكبر من كل شيء قال الله تعالى: [وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ] [العنكبوت 45] وهو وصية النبي لمن كثرت عليه شرائع الإسلام فقال له: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله» [4]

---

1 () الأبيات لعبد الله بن محمد الأندلسي. تفسير ابن كثير 5/436 .

2 () أخرجه البخاري (4829) كتاب تفسير القرآن – باب {فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم}، ومسلم (899)كتاب صلاة الاستسقاء – باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح.

3 () فتح الباري (2/545) ..

4 () أخرجه الترمذي (3375) كتاب الدعوات – باب ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه(3793) كتاب الأدب – باب فضل

وهو مرضاة للرحمن مطردة للشيطان مزيل للهم والغم وجالب للرزق فاتح لأبواب المعرفة وهو غراس الجنة وسبب لترك آفات اللسان، وهو سلوة أحزان الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فعوضهم الله بالذكر الذي ينوب عن الطاعات البدنية والمالية ويقوم مقامها، وترك ذكر ا

من أسباب قسوة القلب :

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم | وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم | وليس لهم حتى النشور نشور

ولذلك لا بد لمن يريد علاج ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله قال تعالى : [وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ] [الكهف: 24] . وقال الله تعالى مبيناً أثر الذكر على القلب : [ألا بذكْرِ اللَّه تَطْمَئنُّ الْقُلُوبُ] [الرعد: 28]. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عن العلاج بالذكر: " في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى. وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال أذبه بالذكر. وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل و " الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء "[1]

وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان. قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإذا دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين - أي يجتمعون على الشيطان الذي حاول أن يتقرب من قلب المؤمن - فيقولون ما لهذا، فيقال: قد مسه الإنسي[2] !. وأكثر الناس الذين تمسهم الشياطين هم من أهل الغفلة الذين

الذكر، قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه.اهـ والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (7700).

1 () الوابل الصيب (142).

2 () مدارج السالكين (2/424)

لم يتحصنوا بالأوراد والأذكار، ولذلك سهل تلبس الشياطين بهم.

وبعض الذين يشكون من ضعف الإيمان تثقل عليهم بعض وسائل العلاج كقيام الليل والنوافل فيكون من المناسب لهم البدء بهذا العلاج والحرص عليه فيحفظون من الأذكار المطلقة ما يرددونه باستمرار مثل: " لا إله إلا الله لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير " و" سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم " و" لا حول ولا قوة إلا بالله " وغيرها، ويحفظون كذلك من الأذكار المقيدة التي جاءت في السنة ما يرددونه إذا حان وقته زماناً أو مكاناً مثل أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، والرؤى والأحلام، والأكل، والخلاء، والسفر، والمطر، والأذان، والمسجد، والاستخارة، والمصيبة، والمقابر، والريح، ورؤية الهلال، وركوب، الدابة، والسلام، والعطاس، وصياح الديكة، والنهيق، والنباح، وكفارة المجلس، ورؤية أهل البلاء، وغيرها ، ولا ريب أن من حافظ على هذه سيجد الأثر مباشراً في قلبه .

12- ومن الأمور التي تجدد الإيمان مناجاة الله والانكسار بين يديه عز وجل ، وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعاً كان إلى الله أقرب ولهذا قال رسول ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » [1]. لأن حال السجود فيها ذلة وخضوع ليست في بقية الهيئات والأوضاع ، فلما ألزق العبد جبهته في الأرض - وهي أعلى شيء فيه - صار أقرب ما يكون من ربه . يقول ابن القيم رحمه الله في كلام جميل بلسان الذلة والانكسار للتائب بين يدي الله: " فلله ما أحلى قول القائل في هذه الحال: أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه،

---

[1] () أخرجه مسلم (482) كتاب الصلاة – باب ما يقال في الركوع والسجود.

وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه " فعندما يأتي العبد بمثل هذه الكلمات مناجياً ربه فإن الإيمان يتضاعف في قلبه أضعافاً مضاعفة .

وكذلك إظهار الافتقار إلى الله مما يقوي الإيمان والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بفقرنا إليه وحاجتنا له فقال سبحانه : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ] [فاطر:15] .

13- ومما يعين على تقوية الإيمان؛ قصر الأمل : وهذا مهمٌ جداً في تجديد الإيمان ، يقول ابن القيم رحمه الله : " ومن أعظم ما فيها هذه الآية [أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سنينَ * ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ* مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ] [الشعراء : 205- 207] [كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ][يونس:45] فهذه كل الدنيا فلا يطول الإنسان الأمل ، يقول : سأعيش وسأعيش ، قال بعض السلف لرجل صلّي بنا الظهر ، فقال الرجل : إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر ، فقال : وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر ، نعوذ بالله من طول الأمل .

14- ومما يساعد على زيادة الإيمان؛ التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد قال الله تعالى :[َما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ][آل عمران:185] وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أوعالماً أو متعلماً » [1].

15- ومن الأمور المجددة للإيمان في القلب ؛ تعظيم حرمات الله ، يقول الله تعالى : [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ] [الحج : 32]. وحرمات الله هي حقوق الله سبحانه وتعالى، وقد تكون في الأشخاص وقد تكون في الأمكنة وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيام بحق الرسول مثلاً، ومن تعظيم

[1] أخرجه الترمذي (2322) كتاب الزهد، وابن ماجه (4112) كتاب الزهد – باب مثل الدنيا، قال الترمذي: حديث حسن غريب.اهـ والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (1609).

شعائر الله في الأمكنة تعظيم الحرم مثلاً، ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة تعظيم شهر رمضان مثلاً: [ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَات اللَّه فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ] [الحج : 30]، ومن التعظيم لحرمات الله عدم احتقار الصغائر وقد روى عبد الله بن مسعود أن رسول الله ، قال: «إياكم ومحقرات الذنوب ،فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه» وإن رسول الله ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها[1] .

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: " كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها هينة وهي تقدح في الأصول، مثل إطلاق البصر في المحرمات، وكاستعارة بعض طلاب العلم جزءاً لا يردونه » وقال بعض السلف: " تسامحت بلقمة فتناولتها فأنا اليوم من أربعين سنة إلى خلف " وهذا من تواضعه رحمه الله .

16- ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب: الولاء والبراء أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جداً وتذوى معاني العقيدة فيه، فإذا جرد الولاء لله فوالي عباد الله المؤمنين وناصرهم، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيى بالإيمان .

17- وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدأ الكبر، لأن التواضع في الكلام والمظهر دال على تواضع القلب لله، وقد قال : « البذاذة من الإيمان» [2] ومعناه أراد التواضع في الهيئة واللباس. وقال أيضاً: « من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل

---

1 [()] أخرجه أحمد (3808) والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2686).

2 [()] أخرجه أبو داود (4161) كتاب الترجل، وابن ماجه (4118) كتاب الزهد – باب من لا يؤبه له، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (2879).

الإيمان شاء يلبسها »[1] وقد كان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من بين عبيده.

18- وهناك أعمالٌ للقلوب، مهمةٌ في تجديد الإيمان مثل محبة الله والخوف منه ورجائه وحسن الظن به والتوكل عليه، والرضا به وبقضائه، والشكر له والصدق معه واليقين به، والثقة به سبحانه، والتوبة إليه وما سوى ذلك من الأعمال القلبية .

19- ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول جل وعلا: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] [الحشر : 18] وقال عمر بن الخطاب : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا " ويقول الحسن: «لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسه»، وقال ميمون بن مهران: «إن التقي أشد محاسبة لنفسه من شريك شحيح».

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهلاك النفس من إهمال محاسبتها ومن موافقتها واتباع هواها».

فلا بد أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها وينظر في شأنها ، وماذا قدم من الزاد ليوم المعاد .

20- دعاء الله عز وجل من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها كما قال النبي : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم »[2].

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجدد الإيمان في قلوبنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

---

[1] أخرجه الترمذي (2481) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي.

[2] أخرجه الحاكم (1/45) والطبراني في الكبير (1/52 - مجمع) وقال الهيثمي: إسناده حسن، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (1590).

خـــاتمــة

فيا طالب النجاة، شمر عن ساعد الجد، وتلمس مواطن الخير تباعد عن الشر وأهله، وتضرع بين يدي جبار السموات والأرض أن يجعلك من الناجين الفائزين الآمنين في الدنيا والآخرة.

ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اللهم نجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

المراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير.
- التذكرة في أحوال الموتي – القرطبي.
- أيسر التفاسير – أبو بكر الجزائري.
- تفسير الطبري – ابن جرير الطبري.
- فتح الباري – ابن حجر.
- الأذكار – النووي.
- لسان العرب – ابن منظور.
- موقف المسلم من الفتن – حسين الحازمي.
- سير أعلام النبلاء – الذهبي.
- أشراط الساعة – يوسف الوابل.
- ظاهرة ضعف الإيمان – محمد صالح المنجد.
- الثبات على دين الله – محمد صالح المنجد.
- الترغيب والترهيب – المنذري.
- تقوية الإيمان وتثبيت الموحدين – إسلام درباله

فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

- رسول الإسلام خاتم الأنبياء والمرسلين.
- القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد.
- 1000 سؤال وجواب في العقيدة.
- 1000 سؤال وجواب في التعريف بالإسلام.
- تقوية الإيمان وتثبيت الموحدين.
- حصول الأماني بأصول الأفراح والتهاني.
- رسائل للحجاج والمعتمرين.
- أمنية النبيل باختصار الرفع والتكميل في الجرح والتعديل.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بين الإفراط والتفريط.
- بلوغ الأماني من كلام المعلمي اليماني.
- عقد الدرر في شرح المختصر من نخبة الفكر (تحقيق).